

الحلقة الثانية  
قصص السيرة

القصص النبوية

حليم السعيد

عبد الحميد جودة السحار

٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ .

( قرآن کریم )

وَضَعَتْ آمَنَةُ ثَدْيَهَا فِي فَمِ ابْنِهَا ، فِي الْيَوْمِ الثَّانِي  
لِوُلْدِهِ ، فَلَمْ تَجِدْ فِيهِ لَبَنًا ؛ فَقَدْ جَفَّ لَبْنُهَا ، لِمَا أَصَابَهَا  
مِنْ حُزْنٍ لَمُوتِ زَوْجِهَا . وَكَانَ الْحَرُّ شَدِيدًا فِي مَكَّةَ ،  
فَخَشِيتُ آمَنَةُ أَنْ يُؤَثِّرَ هَذَا الْحَرُّ فِي ابْنِهَا ، فَرَأَتْ  
تَبْحَثُ عَنْ مَرْضِعٍ تُرْضِعُهُ ، حَتَّى تَأْتِيَ الْمَرَضِعَ مِنَ  
الْبَادِيَةِ ، فَتُعْطِيَهُ مَرْضِعًا مِنْهُنَّ ، تَأْخُذُهُ مَعَهَا بَعِيدًا عَنْ  
حَرِّ مَكَّةَ الشَّدِيدِ .

وَوَجَدَتْ آمَنَةُ أَنَّ ثَوْيَةَ جَارِيَةَ عَمِّهِ أَبِي لَهَبٍ تُرْضِعُ  
ابْنَهَا ، فَأَعْطَتْهَا مُحَمَّدًا لِتُرْضِعَهُ ، فَأَخَذَتْهُ ثَوْيَةُ ،  
وَأَرْضَعَتْهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَبَعْدَهَا عَلِمَتْ آمَنَةُ أَنَّ الْمَرَضِعَ  
جِئْنَ مِنَ الْبَادِيَةِ إِلَى مَكَّةَ ، يَلْتَمِسْنَ الْأَطْفَالَ ، فَطَلَبَتْ  
مِنْ جَدِّهِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، أَنْ يَخْرُجَ ، لِيَبْحَثَ لَهُ عَنْ  
مَرْضِعٍ .



لم ينزل المطرُ في هذه السنة ، فلم تنبتِ المراعى فى هوازن . وهى قبيلةٌ من قبائل العرب ، فكانت سنةً شديدةً على الناس ، حتى إن عشراً من نساء بنى سعد ، من هوازن ، خرجن إلى مكة يطلبن الرُّضْعاءَ ، وكانت من بينهن حليلةُ بنتِ أبى ذؤيب ، وخرج معها زوجها الحارثُ بنُ عبدِ العزى ، وكانت تحمل ابنها عبدَ الله ، وترضعه .

ركبت حليلةٌ حمارها الأبيض ، ومعها ناقةٌ مُسننة ، ليس فى ضرعها قطرةٌ لبن . وسار الرجالُ والنسوةُ فى طريقهم إلى مكة ، حتى إذا جاء الليلُ ناموا فى خيمة ، وما كانت حليلةٌ وزوجها ينامان من بكاءِ ابنيهما . كان يئكى من الجوع ، فما كان فى ثدى حليلةِ لبن ،

ولولا الشدة التي كانت فيها ما خرجت تطلب  
رُضعاء . كانت تطمع في أن تأخذ ابن غني يدفع لها  
مالاً كثيراً يساعدها على العيش .

وفي الصباح ، استأنفوا السير إلى مكة ، وقد تأخروا  
عن الوصول إليها ؛ لأن حمار حليمة كان ضعيفا  
هزيلا ، فكانوا يضطرون إلى انتظارها .

وأخيراً وصلوا إلى مكة ونزلوا بها ، وانتظروا أن  
يأتى من يطلب المراضع . وكانت كل مريض ترجو أن  
تعود ومعها طفل من أبناء الأغنياء .

خرج عبدُ المطلبِ إلى المراضع ، يَعْرِضُ عَلَيْهِنَّ  
 حَفِيدَهُ مُحَمَّدًا ، فَرَاخَ يَدُورَ عَلَيْهِنَّ وَيَقُولُ :  
 - يَا هَذِهِ ، إِنْ عِنْدِي غَلامًا يَتِيمًا ، أَتَأْخُذِينَهُ ؟ فَتَقُولُ  
 الْمُرْضِعُ وَهِيَ تُعْرِضُ عَنْهُ :  
 - مَا عِنْدَ الْيَتِيمِ مِنَ الْخَيْرِ ؟ ! إِنَّا نَلْتَمِسُ الْكَرَامَةَ مِنَ  
 الْآبَاءِ .

وَاسْتَمَرَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ يَعْرِضُ عَلَى الْمَرَضِعِ أَخَذَ  
 مُحَمَّدًا ، وَلَكِنَّهُنَّ رَفَضْنَ أَنْ يَأْخُذَنَّهُ ، لِأَنَّهُ يَتِيمٌ ، لَيْسَ لَهُ  
 أَبٌ تَلْتَمِسُ الْأَمْوَالَ مِنْهُ .

وَأَخَذَتْ كُلُّ مَرْضِعٍ طِفْلًا ، وَعَبْدُ الْمَطْلَبِ يَعْرِضُ  
 حَفِيدَهُ عَلَيْهِنَّ فَيَقْلُنَ لَهُ :

- يَتِيمٌ ؟ ! مَا عَسَى أَنْ تَصْنَعَ أُمُّهُ وَجَدُّهُ !

كرهته المراضع لذلك ، وما بقيت امرأة إلا أخذت  
رضيعاً غير حليلة ، وأجمعت النسوة على الرجوع إلى  
ديارهن ، فالتفت حليلة إلى زوجها الحارث ، وقالت :  
- والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحبى ولم  
أخذ رضيعاً .

ورآها عبدُ المطلب تنتظر ، فذهب إليها ، وقال :  
- من أنت ؟

ف قالت حليلة :

- أنا امرأة من بنى سعد .

- ما اسمك ؟

- حليلة .

فتبسّم عبدُ المطلب وقال :

- سعدٌ وحلم ! خصلتان فيهما خيرُ الدهر ، وعزُّ

الأبد . يا حليلة ، إنَّ عندى غلاماً يتيماً ، وقد عرضتهُ

على نساءِ بنى سعد ، فأبينَ أن يقبلنهُ ، وقلن : ما عند

اليتيم من الخير ! فهل لك أن تُرضعيه ، فعسى أن  
تسعدى به ؟

فقالت له حليلة :

- انتظرني حتى أشاورَ زوجي .  
وشاورتَ زوجها ، فقال لها : خذيه .  
فرجعت إلى عبدِ المطلب وقالت :

- أين الصبي ؟

فرح عبدُ المطلب ، لأنه وجدَ مُرضعاً لمحمد ، وقال  
لها :

- تعالى .

وأخذها إلى بيتِ آمنة ، فقابلتها آمنةُ مرحبةً ،  
وأدخلتها إلى حيثُ ينام محمد . نظرتُ إليه حليلة ،  
فوجدته ملفوفاً في ثوبٍ من الصوفِ الأبيض ، وتحتَه  
حريرةٌ خضراء ، راقداً على قفاه ، فأشفقتُ أن توقظه  
من نومه ، لحسنه وجماله ، فوضعتُ يدها على صدره ،



فتبسّم ضاحكا ، وفتح عينيه ، فأحسّت حليلة انجذابا إليه ؛ أحبته لَمَّا رَأَتْهُ ، فمالت عليه ، وقبّلتُه بين عينيه ، ثم مالت وحملتَه ، وخرجت به إلى صواحبها .

#### ٤

وضعتُه حليلةً في حجرِها ، ووضعتْ ثديها في فمه ، فإذا بثديها قد امتلأ لبنا ، فأرضعته وهي تعجب ، وأرضعت ابنها عبد الله حتى ارتوى ، ولما جاء الليل ناموا ملء الجفون ، وما كانوا ينامون من صياح عبد الله ، الذي كان يبكي من الجوع .

وفي الصّباح قام الحارثُ زوجُ حليلةٍ إلى الناقة المسنة ، فحلب منها ما شرب ، وما قدّمه لحليمة حتى شبع ، فقال الحارثُ لزوجته :

- تعلّمي يا حلّيمة ، لقد أخذتِ نَسْمَةً مباركة .

فقالَت له حلّيمة :

- واللّٰه إنّى لأَرْجُو ذلك .

واستعدَّ القومُ للعودةِ إلى بنى سعد ، فركبتُ حلّيمةُ

حمارَها الهزيل ، وحمَلت محمّدا معها وإذا بالحمارِ يجرى

حتى يسبقَ الرّكَب ، فنظر صواحبُها إليها فى عَجَب .

- يا حلّيمة ، أليسَ هذا حمارك الذى خرجت عليه ؟

- إنه هُو .

ترعرع محمدٌ في بني سعد ، حتى إذا بلغ سنتين ،  
خرجت به حليلةٌ إلى أمِّه وهى حزينَةٌ ، أحبَّتَه حبًّا  
شديدًا ، حتى كان يُحزِنُهَا أن تفارِقَه .

وضمَّتْ آمنةُ ابنَها إليها فى حُب ، وقبَلَتْه ، وأرادت  
أن تبقيَه إلى جوارِها ، وأحسَّت حليلةُ أُمِّها لفراقه ،  
فقالَت لآمنة :

— دَعِينَا نَرْجِعْ بِهِ هَذِهِ السَّنَةَ الْآخَرَى ، فَإِنِّى أَخْشَى  
عَلَيْهِ وَبَاءَ مَكَّةَ .

وظلت حليلةٌ تتوسلُ إليها أن تردَّه معها سنةً  
أخرى ، حتى قبلت آمنة ، ففرِحَتْ حليلةٌ وأخذَتْه  
مسرورةً ، فقد كانت تحرصُ على أن يُمْكثَ فيهم .

وعادت به إلى دارها ، فكان يخرجُ ينظرُ إلى الصبيان  
يلعبون فيجْتَنِبُهُمْ ، وَيَبْحَثُ بَعَيْنَهُ عَنْ أَوْلَادِ حَلِيمَةَ فَلَا  
يَجِدُهُمْ . فَذَهَبَ إِلَيْهَا يَوْمًا وَقَالَ :

- ما لي لا أرى إِخْوَتِي بالنهار ؟

فَقَالَتْ بِهِ :

- فَدَتُكَ نَفْسِي ، إِنَّهُمْ يَرْعَوْنَ غَنَمًا لَنَا .

- ابعثيني معهم .

وخرج محمدٌ يرعى الغنم ، وكان يخرجُ مسرورا ،  
ويعودُ مسرورا ، ينظرُ إلى السَّمَاءِ وإلى الفِضَاءِ . وفي  
ذاتِ يومٍ خطر له أن يصْعَدَ في الجبل ، فراح يرتقيهِ ،  
ورآه ابنُ حَلِيمَةَ وهو يصْعَدُ ، فجرى إلى أُمِّهِ يخبرُها ،  
فراحت حَلِيمَةُ وزوجُها الحارثُ يَعْدُوَانِ ، حتى إذا  
بلغاهُ وجداهُ جالسا على قِمَّةِ الجبل ينظرُ إلى السماء ،  
كان على رَغَمٍ صغره مشغولا بالكون يُقَلِّبُ



بصره فيه .

فحملته حليلة ، وقبّلتها بين عينيه ، وأخذت تهبطُ  
به ، دون أن يخطرَ على بالها أنه قد ارتبطت الأسبابُ  
بينه وبين السماء .

وأقيمَ سوقٌ عُكاظ ، وكان العربُ يَجْتَمِعُونَ فيها ،  
يَذْكُرُونَ مفاخرَهم . وكان المنجّمُونَ يَكْثُرُونَ في هذه  
السوق ، والناسُ يَعْرِضُونَ صَيَانَهُم عليهم . ورأت  
حليمةُ أن تذهبَ إلى هذه السوق ، فلما بلغتْها قدّمت  
مُحمدا إلى العراف ( المنجّم ) ، فنظر العرافُ إليه  
وصاح :

— يا معشرَ العرب ، يا معشرَ العرب .

فاجتمع الناسُ إليه ، فصاح :

— اقْتُلُوا هذا الصَّبِيَّ .

والتفتَ فلم يجدِ الصَّبِيَّ ، وكانت حليمةُ قد فرّت

بمحمّد ، فصاح الناس :

— أَيْ صَبِيٍّ ؟

فيقولُ العراف :

— رأيتُ غلاما ، والآلهة ليقتلنَّ أهلَ دينكم ،  
وليُكسرنَّ آلِهَتكم ، وليُظهروا أمره عليكم .

٧

أصبح عُمرُ محمدٍ ستَّ سنواتٍ ، فأخذته حليلةٌ  
لتعيده إلى أمّه ، ولما لاحت لها مكة ، التفتت إليه ، فلم  
تجدّه ، فراحَتْ تبحثُ عنه ، فلما لم تجدّه قَلَقَتْ ،  
وذهبت إلى جدّه عبد المطلب ، وقالت له :

— إني قدِمْتُ بِمحمدٍ هذه الليلة ، فلما كنتُ بأعالي  
مكة أضلّني ، فوالله ما أدرى أين هو ؟

وكان رجلانِ من قريش قادمين إلى مكة ، فوجدا  
صبيًا صغيرا في وادي تهامة عند الشجرة ، يقلّبُ  
وجهه في الكون ، فقالا له :

— من أنت ؟

فقال في ثبات :

- أنا محمدُ بن عبدِ الله بن عبدِ المطلب بنِ هاشم .  
فاحتملاه ، وذهبا إلى عبد المطلب ، فلما رآه جدُّه  
قام إليه يعانقه ، وفرحت حليلةُ به ، وأخذته إلى أمِّه ،  
فقالَت لها آمنة :

- ما أقدمك به ، وكنت حريصة عليه ، وعلى مُكثِه  
عندك ؟

فقالَت حليلة :

- قد قضيتُ الذي على ، وتخوفتُ عليه الأحداث  
فأدَّيته إليك كما تحبِّين .

وتركتُه حليلةُ لأمِّه وانصرفت . ولن يَمُكثَ محمدُ  
مع أمِّه طويلا ، إن هى إلا أشهرٌ قليلة ، حتَّى تموتَ  
آمنة وتتركه ، فقد كُتبَ عليه أن يَشِبَّ يتيما .